مُناقشَاتٌ

حول ((القومية العربية والمتشككون)) ..

بقلم صالح عبده الدهان

كنت اعتقد ان الانسة نازك الملائكة سوف تسكت عن الرد على الاستاذ النقاش لانه افحمها ، ولكن مقالها ((القومية العربية والمتشككون)) كان ترديدا لمقالها السابق بل تعداه الى توضيح سذاجة مفهومها للقومية العربية ..

ان الاستاذ رجاء لم يحرم على الاديب دخول معترك السياسة ابدا .. لانه لايملك ذلك الحق .. ولان رجاء نفسه اديب ، ولكنه بعد قراءة مقال نازك اطلق ذلك السؤال او اثاره .. وهو ((الى اي مدى يصح للاديب ان يدخل ميدان السياسة مزودا بسلاح ادبه وحسب ؟)) ونلاحظ انه لم يقل ((يحق)) وانما ((يصح)) .. وكنا نتوقع من نازك ان تقتنع بالجواب المنطقي من ذات نفسها .. وهو بعد ان يشعر انه قد اكتسب مرونة ودراية من فرط دأبه على النهل من كل مناهل الحياة الثقافية بكل جوانبها .. عندئذ يدخل الميدان .. اما اذا دخله من دون ذلك فهو حر ولا يلزمه الا ان يعتبر نفسه مبتدئا .. ورجاء ، بالنظر الى ثقافته العلمية وموضوعيته وايمانه المطلق بالعلم ، لم يفرق بين الادب والسياسة كما فعلت نازك حينما قالت في سياق احد ردودها عليه : ((واما تخطيط المناهج الاقتصادية والسياسية فهو في عقيدتي من واجب المختصين لا الادباء)) ولكن رجاء يطالب الاديب بان يغير عقليته الادبية او بان يطورها ـ كما تتطلب الظروف ـ قبل ان يدخل ميدان السياسة.. وباختصار فهو لايدعو الى ارستقراطية السياسة ولا الى ابتعاد نازك عنها وانما كان كلامه يحوي اشفاقا على نازك من ظهورها بذلك المظهر غير المتوقع وفي صدر مجلة عظيمة كالاداب .

تقول الكاتبة : ((ان سياق القومية هو سياق حب لا فكر .. لان الفكر يأتي فيما بعد لينظم هذه العاطفة في قالب سياسي ..)) وتستطرد : ((ان العاطفة هي كنزنا في الوطن العربي فلا تسألنا بالله ان نجمدها بثلوج الشك وبرودة البراهين)) .. ثم مقررة ((ان الدعوات التي تبني الامم هي دائما دعوات عاطفية ..))

معنى هذا الكلام .. ان الكاتبة تسأل رجاء بالله وكل من يؤمن بما يؤمن به رجاء ، الا يجمد العاطفةالقومية بثلوج الشك وبرودة البراهين.. وهذا غير ممكن لان الوقت الذي كنا نؤمن فيه بان نخرج من ديارنا اذا ماسؤلنا بالله قد اندثر .. ولاننا من المؤمنين بان كل شيء لايقبل الجدل مرفوض من اساسه .. وقوميتنا بحاجة الى الجدل .. وقوميتنا لن تثلجها برودة الشكوك والبراهين .. ان الثلوج موجودة الان على قمة قوميتنا وتكاد تغطيها .. ومصارعتنا للشكوك بالتفسيرات العلميةالموضوعية للقومية بات ضروريا من اجل ذوبان تلك الثلوج .

اما قولها بان الدعوات التي تبني الامم هي دائما عاطفية ، فهذا تقرير كنا نريد من شاعرتنا ان تعززه بأمثلة مادية لا ان تضعه هكذا على طريقة ((بالله لاتسالنا)) ، ومع علمنا بان الامثلة ستعوزها فليس لنا الا ان ندحضه بمثل بسيط هو هتلر المانيا عندما استغل العاطفة في شعبه وقاد المانيا كلها الى الدمار ؟! بعد ان استطاع ان يجند كل المانيا لمحاربة المشاعر الانسانية ... ولو وجد ـ ولربما وجد ـ من يناقش هتلر علميا في ذلك الحين حول دعوته العنصرية للاقى مصرعه .

وتاتي نازك ، بعد ان اكدت في مقالها ان الايمان بالقومية العربية لن يزعزعه الشك ولا المغرضون ، تأتي لتناقض نفسها بنفسها حيث تقول : ((واسمح لي ايضا ان اقول ان العربي لايمكن ان يتشكك في عروبته الا اذا تعمد موجه مغرض ان ينحرف به ويشككه))

وهذا اعتراف ضمني بان محاولة تشويه القومية العربية ممكنة ... ونحن نريد في هذه الاونة ان نحذف هذه الـ ((الا)) ولن يكون ذلك الا باقامة سد منيع في عقل كل عربي يمنع عنه طوفان المشوشين والمغرضين وهذا السد هو العلم .

وتقول نازك :

((وهذه العروبة مسلكنا ونحن نلمسها ونحسها ونعيشها كل لحظة .. فلن نضيع وقتنا في التماس البراهين على وجودها . ان التماس الادلة على الاشياء البديهية هو عمل العاطلين والكسالى))

هكذا لازالت ـ رغم رد رجاء عليها من ان القومية لو كانت بديهية لما كانت اعصب معركة نخوضها مع الاستعمار ـ تصر بصلف على مسخ قوميتنا وتسذيجها . وهكذا بجرة قلم ، وانسياقا مع الرغبة في اطلاق مأثور القول والحكم ((انظر كثرة استعمالها لحرف ((ان)) ـ هكذا تتكلم نازك لا بلسانها ولا عن رأيها ولكن بلساننا جميعا وبالنيابة عنا جميعا .. انها تدفع كاتبي المجلدات والبحوث منذ اعوام كثيرة منقبين عن جذور قوميتنا ، بالتعطل والكسل .

وتكرر صوفيتها من جديد عندما تقول :

((وأما المؤمن الذي يتوكل على الله ويمضي يعمل بقلب مطمئن في اتجاه ايمانه فذلك الذي يكون هو اول من يصل))

وهنا تبدو مناقشتها اشد صعوبة ودعوة ... انها اشبه بمن يحاول ان يقنع متزمتا بأن الصاروخ وصل القمر بينما ذاك لايصدق بحجة ان ذلك لم يرد في كتاب الله .

وتقول نازك في ردها ، مشيرة الى مقالها السابق ((القومية العربية والحياة)) :

((انا ابحث في العروبة باعتبارها العاطفي الانساني لا باعتبارها الاقتصادي والسياسي ...))

ولكننا نرفض ذلك لسبب واحد هو اننا لانحتاج اليه .. وبالمثل مادام كل محسوس موجودا فلا داعي للتباحث حوله .. ومثل هذه المقالات كانت ((تنفع)) من زمان .. وكان عليها الا تأتي في هذا الوقت لتنسف بجرة قلم جهود عمالقتنا ومفكرينا الذين يتباحثون من اجل ايدلوجية القومية العربية ومحتواها .

وهذا الكلام ينطبق ايضا على قولها :

((ان اقصى ما ارمي اليه من هذا البحث والابحاث التالية التي سانشرها حول القومية العربية ((! !)) ان اوصل صوتي المؤمن الى قلب الانسان العربي البسيط في ارجاء الوطن ، فاذا استطعت ان ابعث فيه خلجة حماسة وثقة او أمنحه لحظة ((!)) ايمان حار بالعروبة وبنفسه كان ذلك حسبي))

وهنا نسالها هل ضمنت الى الان ان ملايين العاديين من العرب قد

قرأوا كلامها .. وعبارتها « ابعث فيه خلجة حماسة وثقة » و « امنحه لحظة ايمان حار » الا تشكل اعترافا بالتناقض الصارخ الذي وقعت فيه. اذ انها تعني ان الايمان بحاجة الى بعث .. وثقة .. أي انه غير مفروس جيدا ، وانه خاضع للفتور والتغير . وتستطرد الكاتبة قائلة :

« وليثق الاستاذ رجاء انني لا أتجه في هذه المقالات الى المثقف العربي الذي قرأ برنارد شو وسارتر »

ترى من يقرأ « الاداب » غير هؤلاء ؟.. ثم تقول :

« ولعلي اصبحت اشعر بالخوف والنفور من هؤلاء « المثقفين » لمجرد انني افتقد لدى الكثير منهم حرارة البساطة العربية ودفء الايمان »

لماذا ياناذك ؟...

الاسلام نفسه لم يقم الا بالاقناع ... اما البحث عن مؤمنين جاهزين فالوقت متأخر .. وهؤلاء المثقفون يطلبون منك شيئين .. الصبر والحجة ، وانا استغرب ان تتجه نازك الى العاديين عندما افلست في السياسة ..ولم تتجه اليهم في ثراء شعرها وعظمته ، ثم تقرر الكاتبة كعادتها :

Reody maole

« ان الفرد القليل الثقافة ، الكثير الايمان « والذي » يحب العروبة باندفاع عفوي فيه براءة الاطفال وايمان الشيوخ هو الفرد الذي سيبني صرح الدولة العربية حين يوجهه الزعيم المخلص الفطن الحي الضمير .. فليبارك الله بساطتك يا ايها العربي الساذج ذي الايمان الكبير بالله والعروبة »

هنا نسأل الكاتبة مادخل الله بالقومية العربية ؟ وما هو الارتباط بين الفكرتين ؟

ونقول انه اذا لم تتحول عقلية الـ ٩٠ مليونا عن هذه الرزية فلن يكون سوى الطوفان ...

ثم لنفرض جدلا ان الله لم « يحول » لنا بزعيم مخلص واعطانا ديكتاتورا كهتلر ... عندئذ هل ستتحول العاطفة العمياء الى معارضة ايجابية اذا قال لنا « افتحوا العالم .. حطموا الاخرين .. استعمروا الدنيا .. » ؟ ام هل ننتظر حتى توجهنا نازك ومريديوها وجهة اخرى هذا اذا اقتنعت بخطأ نظريتها ؟ ام ماذا ؟

وفي مكان اخر تقول مقررة كعادتها : « ان العلم ضعيف امام القومية..» واذا سلمنا معها بصواب هذه « الحكمة » جدلا ، فلم لانستغله في صالح القومية مادام سهل المنال ؟

وتستطرد نازك في مكان اخر : « هل يحاول العلم ان يغير طبيعة الشمس حين يدرسها » وهذا خلط .. ويبدو ان التعبير خانها .. لقد عمي عليها ان تدرك ان الشمس حقيقة ازلية ولدت قبل كل عقيدة وكيان .. بينما القومية ـ أي قومية ـ ما هي الا حقيقة مكتشفة .. وهي حتما كالشمس الا ان لها شروقا واحدا وغروبا واحدا فقط عند ميلادها .. وعند انصهارها في بوتقة انسانية .. لان غاية كل قومية ومآلها الى الانسانية .

اخيرا لاادري اية ثقافة يمكن ان تسلب الانسان « ايمانه بنفسه وبأمته وتفقده براءته وصدق شعوره » .. وبالحقيقة لاتوجد ثقافة تمسخ الانسان الا ثقافة فرانكلين واخبار اليوم ولقد رفضناها في حينها وكان النقاش اول من طالب بتأميم الثانية في كتابه الشهير « في ازمة الثقافة المصرية » ...

وبعد ان تعرف نازك الثقافة وتتحدث عنها تختار لنا هذا النوع منها الذي يصرخ فينا قائلا بروح السلف الصالح :

« ايها العربي انهض .. وواجه الحياة .. فانت سيد ، انت طيب وأصيل ، وموهوب والحياة تفتح لك ذراعيها لتعطيك كنوزها ووعودها لمجرد ان تنشط وتعمل ، فامض لتبني عالما جديدا يتفوق على مابناه السابقون .. الخ »

وبهذه الثقافة الدنكيشوتية ستنتهي مشاكل الـ ٩٠ مليون عربي .. فالجائع سيشبع عندما يسمع هذه الخطبة .. والمظلوم سينسى مشاكله العائلية والاقتصادية وسيصرخ في وجه الظالم : « ان القومية العربية بريئة منك » وهذا لعمري اخر مانحلم به !

البحرين — صالح عبده الدهان

قصة « عيون الاطفال » .. والنقد !!

بقلم علي بدور

لكل اثر فني شخصية تستمد معالمها من الحادثة الخام والتعميم الذي يمد قوالبه لتمتلىء بجزئيات هذه الحادثة . والعمل القصصي ـ كجزء من كل ـ من حيث التعبير عن الفكر والعاطفة الانسانيتين بأشكال مختلفة، من بينها القصة ، لايتجلى في البناء الفكري المحض ، بقدر مايتجلى في زوايا البناء الفني التي تعتمد عليها كتابة القصة الناجحة . ذلك ان القصة ـ اية قصة ـ ليست موضوعا بقدر ما هي « وجهة نظر » ان صح التعبير او صحت التسمية . لان للموضوع انطلاقة فكرية يمكن التصرف في صياغتها كشكل .. كالقطعة من العجين قبل ان تصبح خبزا . اما وجهة النظر فهي رغم اشتمالها على مادة فكرية الا انها ممتزجة بعناصر اخرى نفسية وعاطفية معبرة عن ذات مميزة من غيرها ، فتكون القصة أشبه بقدح الكوكتيل .. ويكون الموضوع لونا واحدا .. قد يكون في عداد ما اشتمل عليه قدح الكوكتيل من الوان .

هذه الاسطر القليلة ، كانت ضرورية من اجل مناقشة الكاتبة القصصية سميرة عزام لمناقشتها قصة عيون الاطفال في نقدها للقصص المنشورة في العدد السادس من الاداب . فهي مقدمة نقدية اشبه بالتحية على البعد ان كانت تصح التحيات .. في المقدمات النقدية .

بعد قراءة نقد االكاتبة القصصية خرجت منه بنتيجة هامة .. هي ان الناقدة لخصت موضوع القصة .. ثم وضعت له مخطط البحث ، ثم ناقشتني على ذلك الاساس ، ولكن هل كان مخططها تلخيصا لقصة كتبتها انا .. ام لقصة كانت تشتهي ان تكتبها هي ؟ لان محور القصة الذي تدور حوله ، يتلخص في ان عيون الاطفال البريئة الصافية عندما تسلط على نفس « انسان » تستطيع ان تغل اجنحة الرجل فيه . ولكن الناقدة افترضت انني اعطيت غير هذا الدور للطفل .. بأن جعلته يشك في شخصية البطل ..ثم لم أوفق في التعبير عن هذا الشك الذي جعل البطل يهرب بعد افتضاح امره ، وهذا شكل لموضوع القصة لم يرد في القصة ذاتها اطلاقا .. ولو خطر لي قبل كتابتها لما اخذت به على الاطلاق . لان الاصالة في القصة مشتركة بين عيني الطفل اللتين كانتا تنظران دون ان تفهما شيئا على الاطلاق مما كان يجري حولهما ، لابالحدس ولا بامساك الدليل كما تريد الناقدة ـ وبين نفسية البطل ، الصافية ، النقية . والا فلو كانت عينا الطفل قد اكتشفتا شيئا « ما » ثم قام الطفل لينام بعد ذلك ، فهل يعقل ان يهرب البطل .. وغريمه قد ذهب الى النوم .. ثم عادت امه « لتتأكد » من نومه بحجة تفقده « فهو

ينزع عنه الغطاء دائماً » على حد زعمها !

ان الناقدة تفترض انني اريد ان ابين بان الطفل « عارف » بكل شيء دون ان اقول ذلك صراحة . ولا ادري من اين جاءت بهذه الافتراضات التي ليس لها وجود اصلا ، لان البطل في القصة انسان حساس .. خرج من تجربة حب سابقة فاشلا .. لانه لم يستطع ان يتحمل تمثيل ادوار الخداع التي تتقنها بعض النسوة المتزوجات في غيبة من ازواجهن لتبرير وجود عشاقهن معهن في منزل الزوجية . فقد كان مجرد رؤية البطل للاطفال الى جانب امهم العشيقة بدعة يتحول حيالها من عشيق .. الى اخ مخلص ينظر الى عشيقته نظرته الى اخت مخلصة ، لانه لايتحمل ان تخون امرأة ذات اولاد زوجها واولادها . وبراءة الاطفال هي وحدها التي كانت تجرح نفسه في النهاية وتنتصر على بعض نوازع الاثم فيها .

وها هو البطل يدخل تجربة جديدة مع امرأة ارملة شابة . انه انسان محروم من الزوجة التي تحبه ويبادلها هذا الحب . فاذا ماوقع في صداقة هذه الارملة الجميلة ذات الولد .. واذا ماذهب لعندها في يوم غرام حقيقي تقتحم فيه غابة البنفسج .. فقد جلس امام فريد الطفل وبدأ يسترجع الماضي البعيد والقريب والحاضر ويفكر في المستقبل، فلما عرته عينا فريد واجنحة الحب التي حلق بها لموعده ، صار انسانا شفافا لاغريزة ولا عكر فيه ، وتفتحت اصالة الانسان فيه عن برعم ذي رائحة مسكرة .. فرواها بدموعه وهرب تاركا فريدة لابنها .

واذا كان في القصة من شيء يجدر التأكيد عليه فهو هذا التناسب بين نمو نظرات الطفل البريئة الصافية التي لاتدري عما يجري حولها شيئا ، وازدياد تأثيرها شيئا فشيئا في نفس البطل وارادته الى انجردته من كل قواه المادية والغريزية والعاطفية ، وكشفت عن معدن الانسان الاصيل فيه ، بعد ان تم التبرير الكافي لذلك ، بالكشف عن « تاريخ » البطل مع النساء المتزوجات ذوات الاولاد وما كانت تفعله عيون الاطفال.. وما فعلته في النهاية . ولا اعتقد ان معالجة الموضوع كما ارادته الناقدة يمكن ان تؤدي الى النجاح الذي افترضته ...لان معالجتها المقترحةتطمس انسانية البطل .. بل انسانية الانسان .. وتشوه براءة عيون الاطفال ، وبراءة هذه العيون عندما تنظر ، وشتان بين طفل يحدق في رجل دون اي قصد ، فتؤثر هذه النظرات الصافية في نفس الرجل ويتخذ موقفا اخر ، وبين طفل ينظر نظرات استفهام او استغراب ، ويكتشف مافي اعماق رجل مما يضطره لاتخاذ موقف اخر !!

ان البطل في قصة « عيون الاطفال » « انسان » اكثر مما هو رجل. وان فريد « طفل » حقيقي اكثر مما هو « ولد يستشعر بالحدس او بامساك الدليل » . اما فريدةفهي امراة تحب بعد ان نبت هذا الحب فوق رابية الحرمان والشباب الضائع .. والاعوام الثلاثين ، جعلت منها عينا طفلها البريئان ونفس البطل الصافية ، « اماً » حقيقية تهب رياح البنفسج من غابتها العذراء !

... وهكذا تجدين ياناقدتي العزيزة ان عيون الاطفال يمكن لها ان تفعل الكثير اذا سلطت على « انسان » دون ان تدري .. من امره شيئا. فهي مدرسة للتجارب والاختبارات يتعلم فيها الابطال . ثم نسجل نحن قصصهم فحسب !!

وهذا هو الفرق بين قصص توضع مخططاتها على الورق .. وبين قصص تنتزع من واقع الحياة !!

حلب — علي بدور

الى الدكتور احسان عباس

بقلم تيسير السبول

ورد في خاتمة كتابكم « فن الشعر » قولكم : ان مهمة الناقد « ليست هي الاستحسان المؤقت ولا هي صرخات الاعجاب والاستنكار وعسى ان يدرك ذلك النقاد » وفي نقدكم للقصائد المنشورة في العدد الماضي ماينتاقض كليا وهذا المبدأ مما يتيح المجال للتساؤل عن سر تحولكم المحير. ان عبارات الاستنكار والسخرية تطفح من نقدكم ، ويمكن اعطاء امثلة :

١ ـ كان الله في عونه

٢ ـ اسفا على شبابه !

٣ ـ وانتهى الطواف حول هذه « التماثيل »

٤ ـ والعياذ بالله

٥ ـ وحفظ الله الشعراء ولا اكثر منهم !

الا تنم هذه العبارات وغيرها عن ضيق حاد وبرم يجعلنا نشك في موضوعية نقدك للقصائد ونفقد الثقة بصواب الاحكام التي اطلقتها .

ولنفترض ان جميع القصائد كانت نماذج سيئة ، اما كانت حرية بنقد يعتمد التحليل والمقارنة لا السخرية ؟ هل كانت جميع القصائد اسوأ من المثل الذي قدمتم في صفحة ٢٣٤ من كتاب « فن الشعر » اعني قصيدة « وطن الفأس » والتي بينتم مافيها من تكلف ونبو في الصور بعد تفكيك لاجزائها ومقارنات لصور التناقض الصميم في تلك القصيدة ؟ ولماذا يكون حظ التماثيلفي مجلة الاداب اقل بكثير من حظها في كتاب« فن الشعر »؟

واخيرا :

هل لي ان اتساءل عما اذا كنتم تؤمنون بان التوجيه الاخلاقي له مجال في النقد الادبي ؟ الا بد لشاعرنا حتى يحظى بعطف النقاد من الحصول على بطاقة تثبت انتسابه لجمعية « جيل العطاء » ؟ هل نفهم من ذلك ان ثمة تباشير لدين جديد اسمه « دين العطاء » يرجم الكافرون به او الذين يفهمونه على نحو مختلف ؟

ليست هذه « مناقشة » وانما مجموعة استفسارات صغيرة يشفع لها انها لم تزرع بالسباب او السخرية من كرامات الاخرين حسب المنهاج الغريب الذي اختطته بعض الاقلام على صفحات الاداب محولة ابوابا بكاملها الى فصول فكاهة تثير السأم .

وانا لاافترض ولا اتوقع اجوبة واكتفي فقط بان اكون قد نقلت الى ضميركم الادبي اسفا حقيقيا احسست به .

دمشق — تيسير السبول

قريبا

قضايا الشعر المعاصر

أبحاث في الشعر العربي الحديث ونقده

بقلم نازك الملائكة

دار الاداب